حكايات السابقين

في حديث سيد المرسلين

جمعها وخرَّج أحاديثها

مصطفى عدنان الحمداني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن لفن القصص أثراً واضحاً على نفوس أولادنا، وذلك من خلال ما يعرض في التلفاز على صيغة الصور المتحركة، أو من خلال المجلات المعدَّة لهم، أو ما يتلقونه في مدارسهم، أو أهاليهم. وذلك لأن القصة بطبعها محببة إلى النفس البشرية.؛ لما تحمل في طياتها من النوادر والغرائب، وغير ذلك، أضف إلى هذا أن القصة من شأنها أنها تعلق بالذهن ولا تكاد تنسى، وهذا أمر واضح للعيان يعلمه كل أحد.

ولذا لم يكن هذا الأمر غائباً عن سيد المعلمين، وموجه المربين، فقد كان رسولنا ﷺ يقص على صحابته رضي الله عنهم القصص؛ ليثبتهم وليعلمهم وليربيهم، إلى غير ذلك من المعاني المنشودة من هذا الأسلوب في الكلام.

والقصص الواردة عن النبيِّ ﷺ كثيرة، غيرَ أنها متناثرة في كتب السنة المطهرة كحبات اللؤلؤ المتفرقة، لا يجمعها نظام واحد؛ لذا رأيت أن أجمع منها طائفة تكون عقداً في متناول أيدي المربين؛ لتكون وسيلة

قوية للتعليم يختارون منها ما يناسب الناشئة التي يقومون بتربيتها وتعليمها.

ولعل من نافلة القول أن ننوه على أن لا يجعل المعلم همه مصبوباً على سرد القصص فقط، بل عليه بيان مواضع العبر منها، وبيان الفوائد المستنبطة من القصة، وبيان الأحكام الواردة فيها إن كان فيها أحكام.. الخ.

أسأل الله العظيم أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به قارئه مثلما انتفع به سامعوه السابقين، آمين آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

المتصدق على السارق والغني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ!

فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ!

فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ!

فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ!

فَأُتِيَ[1] فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ»[2].

---

(١) أخرج الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٣١٥) زيادة: «فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَأُتِيَ فِي مَنَامِهِ».

الفوائد من القصة:

١- التسليم والتفويض والرضا بقضاء الله، فالمتصدق حمد الله على تلك الحال؛ لأن الله ﷻ هو المحمود على جميع الحال، لا يحمد على المكروه سواه. وقد ثبت أن النبي ﷺ كان إذا رأى ما لا يعجبه، قال: «اللهم لك الحمد على كل حال»[٣].

٢- في الحديث دلالة على أن الصدقة كانت عندهم مختصة بأهل الحاجة من أهل الخير، ولهذا تعجبوا من الصدقة على الأصناف الثلاثة.

٣- في الحديث دلالة على أن نية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت صدقته، ولو لم تقع الموقع المناسب.

٤- في الحديث استحباب إعادة الصدقة إذا لم تقع الموقع المناسب.

ورؤيا غير الأنبياء وإن كانت لا حجة فيها، لكن هذه الرؤيا قد قررها النبي ﷺ. فحصل الاحتجاج بتقريره ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٢:٥١٦) رقم (١٣٥٥)، ومسلم (٢:٧٠٩) رقم (١٠٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥٠٤).

٥- بركة التسليم والرضا وذم التضجر بالقضاء كما قال بعض السلف: لا تقطع الخدمة، ولو ظهر لك عدم القبول.

إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ[٤] مَالًا؛ فَقَالَ لِبَنِيهِ لَـمَّـا حُضِـرَ[٥]: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ.

قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ؛ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ[٦]. فَفَعَلُوا؛ فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟

قَالَ: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»[٧].

---

(٤) (رغسه الله) أعطاه وبارك فيه، من الرغس وهو: البركة والنمـاء والخير.

(٥) (حُضِرَ) أي حضره الموت.

(٦) (يوم عاصف) شديد الريح.

(٧) أخرجه البخاري (٣:١٢٨٠) رقم (٣٢٩١)، ومسلم (٤:٢١٠٩) رقم (٢٧٥٦).

الفوائد من القصة:

١- إنَّ من البِـرِّ حسنَ التخاطب مع الوالدينِ، فقد أجابوه بأنه كان خير أب.

٢- أن الرجل قال هذا لجهالةٍ فيه عن قصور، ولذا لم يؤاخذه الله بقوله؛ وإنما يكفرُ من يستدل وينظر دون من قصر.

٣- أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه، كما قال ذلك الرجل «أنت عبدي وأنا ربك»[٨].

(٨) أخرجه مسلم (٤:٢١١٤) رقم (٢٧٤٧) من حديث أنس ﷺ.

رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى. بَدَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا؛ فَأَتَى الْأَبْرَصَ؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ؛ فَذَهَبَ عَنْهُ؛ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا.

فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْإِبِلُ. فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ[٩]؛ فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ؛ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْبَقَرُ. قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَعْمَى؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

---

(٩) عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر.

قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَـرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ،

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْغَنَمُ. فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا.

فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ بِكَ.

أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي.

فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟

فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا.

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ؛ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ بِكَ.

أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لله.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[10].

الفوائد من القصة:

١-إنَّ الله سبحانه يبتلي العبد بما شاء، يبلوه هل يصبر أو يضجر إذا كان ابتلاه بضراء، وهل يشكر أو يقتر إذا كان قد ابتلاه بسراء.

---

(١٠) أخرجه البخاري (٣:١٢٧٦) رقم (٣٢٧٧)، ومسلم (٤:٢٢٧٥) رقم (٢٩٦٤).

٢-إنَّ من أحبِّ الأشياء عند الإنسان أن يكون معافى من العاهات، ولاسيما العاهات المكروهة عند الناس.

٣-في الحديث التحذيرُ من كفران النعم والترغيب في شكرها، والاعتراف بها، وحمد الله عليها.

٤-في الحديث فضل الصدقة، والحثُّ على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم.

٥-في الحديث الزجر عن البخل؛ لأنه حمل صاحبه على الكذب، وعلى جحد نعمة الله تعالى.

٦-نأخذ من هذا الحديث عبرة، بأن الإنسان إذا شكر نعمة الله واعترف لله بالفضل، وأدى ما يجب عليه في ماله فإن ذلك من أسباب البقاء والبركة في ماله.

٧-إنَّ الملائكة قد يتشكلون على صورة بني آدم، فإن الملك أتى لهؤلاء الثلاثة بصورة الشخص المقابل كما جاء إلى الأبرص والأقرع والأعمى.

قاتلُ المائة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ(١١)، فَأَتَاهُ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا؛ فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوْتُ؛ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ.

فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى الله.

وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

---

(١١) (الراهب) المنقطع للعبادة.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ؛ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ.

فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ»[١٢].

الفوائد من القصة:

١-في الحديث: مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس.

٢-في الحديث: فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير. وأما الثاني: فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب، ودلَّه على طريق النجاة.

٣-في الحديث استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأصحاب المساعدين على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح

---

(١٢) أخرجه البخاري (٣:١٢٨٠) رقم (٣٢٨٣)، ومسلم (٤:٢١١٨) رقم (٢٧٦٦).

والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدي بهم وينتفع بصحبتهم ويتأكد بذلك توبته.

٤-في الحديث إشارة إلى قلة فطنة الراهب؛ لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلَّا مظنونًا.

صَخْرَةٌ سَدَّتِ الْغَارَ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ[١٣] مِـمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ[١٤] إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ.

فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَـالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ[١٥] قَبْلَهُمَـا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي[١٦] فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ[١٧] عَلَيْهِمَـا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَـا غَبُوقَهُمَـا فَوَجَدْتُهُمَـا نَائِمَيْنِ،

---

(١٣) (الرهط) ما دون العشرة من الرجال ولا يكون فيهم امرأة.

(١٤) التجؤوا إلى موضع ليبيتوا فيه.

(١٥) (لا أغبق) من الغبوق وهو شرب العشي.

(١٦) (فنأى بي) أي: بعد.

(١٧) (فلم أرح) أي: أرجع.

وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ[١٨] فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا.

اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ؛ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا[١٩] فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ[٢٠] مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا؛ فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا؛ قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ.

فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا.

اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ؛ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

---

(١٨) (برق الفجر) ظهر الضياء.

(١٩) (فأردتها عن نفسها) كناية عن طلب الجماع.

(٢٠) (ألمت بها سنة) نزلت بها سنة من سني القحط فأحوجتها.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ.

فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ؛ فَقَالَ: يَا عَبْدَ الله، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي.

فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ.

فَقَالَ: يَا عَبْدَ الله، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي.

فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا.

اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ؛ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[٢١].

(٢١) أخرجه البخاري (٢:٧٩٣) رقم (٢١٥٢) واللفظ له، ومسلم (٤:٢٠٩٩) رقم (٢٧٤٣).

الفوائد من القصة:

١-يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه؛ فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم.

٢-فضل بر الوالدين، وفضل خدمتهما، وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم.

٣-فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات، لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصاً.

٤-فضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة.

اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ(٢٢)، فَإِذَا شَرْجَةٌ(٢٣) مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ(٢٤)، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، مَا اسْمُكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ - لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(٢٥).

---

(٢٢) الحَرَّةُ: الأَرضُ المُلْبَسَةُ حِجَارَةً سَودَاءَ.

(٢٣) والشَّرْجَةُ: بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هِيَ مسِيلُ الماءِ.

(٢٤) (بِمِسْحَاتِهِ) بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَهِيَ الْمِجْرَفَةُ مِنَ الْحَدِيدِ أَوْ غَيْرِهِ.

(٢٥) أخرجه مسلم (٤: ٢٢٨٨) رقم (٢٩٨٤).

الفوائد من القصة:

١- في الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل وفضل أكل الإنسان من كسبه، والإنفاق على العيال.

٢- أن الصدقة تنتج البركة والمعونة من الله.

٣- قوله ﷺ: «فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ -». قال الطيبي: لعل العدول عن التصريح إلى الكناية للإشارة إلى أن معرفة الأسماء في بعض المواضع ليست من الأمور المهمة.

٤- قال النووي: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول.

اجْتَنِبُوا أُمَّ الْخَبَائِثِ

عَنْ عُثْمَانَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اجْتَنِبُوا أُمَّ الْخَبَائِثِ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ وَيَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَعَلِقَتْهُ[٢٦] امْرَأَةٌ غَاوِيَةٌ[٢٧]، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا؛ فَقَالَتْ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِشَهَادَةٍ[٢٨].

فَدَخَلَ، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ[٢٩] جَالِسَةٍ، وَعِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ[٣٠] فِيهَا خَمْرٌ.

فَقَالَتْ: أَنَا لَمْ أَدْعُكَ لِشَهَادَةٍ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، أَوْ تَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ؛ فَإِنْ أَبَيْتَ صِحْتُ وَفَضَحْتُكَ.

---

(٢٦) أي: أحبته وعشقته.

(٢٧) أي: منهمكة في الضلال، من زنا وغيره.

(٢٨) أي نطلبك لتشهد لنا بشيء.

(٢٩) أي: جميلة حسنة.

(٣٠) إناء من الزجاج يملأ من الشراب يوضع بين الشراب يغترفون منه.

فَلَمَّـا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ؛ قَالَ: اسْقِينِي كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ؛ فَسَقَتْهُ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ، ثُمَّ قَالَ: زِيدِينِي. فَلَمْ يَرِمْ[٣١] حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ.

فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَـانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ فِي صَدْرِ رَجُلٍ أَبَدًا، لَيُوشِكَنَّ أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْرِجَ صَاحِبَهُ»[٣٢].

الفوائد من القصة:

١- دهاء أهل المعاصي في إيقاع أهل الإيمان في مخازيهم وأفعالهم الشائنة، حيث احتالت المرأة على الرجل بطريقة تناسبه فجعلته يدخل بيتها، ثم طلبت منه الفجور. فعلى المسلم أن يكون

---

(٣١) يقال: رَام يَرِيم إذا بَرحَ وَزالَ من مكانه. أي لم يترك مكانه حتى وقع في جميع ما أمرته به.

(٣٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦٩:١٢) رقم (٥٣٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٦:٧) رقم (٥١٩٧). وأخرجه النسائي (٣١٥:٨) رقم (٥٦٦٦) موقوفاً على عثمان. وصحح الدار قطني وقفه على رفعه للنبيِّ ﷺ. قال العلامة محمد الوَلَّوِيُّ الإثيوبيُّ: والظاهر أن مثله له حكم الرفع؛ لأنه مما لا ينال بالرأي ، وعثمان ﷺ ليس معروفاً برواية الإسرائيليات. «شرح سنن النسائي» (٢٨٣:٤٠).

على حذر من أهل الكفر والذنوب، وأن يكون متيقظاً إلى مكرهم وخداعهم.

٢- أنَّ الخمر أصل الشرور، فإنه لا يشربها ويدمنها أحدٌ إلا وتخلى عن جميع الأخلاق الشرعية، بل يخرج عن الإنسانية، ويلتحق بالبهائم.

٣- أنَّ شؤم إدمان شرب الخمر أن يزيل من صاحبه الإيمان من قلبه، وهذا أمر عظيم وداهية طامة.

٤- أنَّ لا يستهين المسلم بذنب مهما صغر؛ لأن الذنب تتبعه ذنوبٌ، كما حصل للرجل، رأى الخمر أهون الذنوب فإذا بها تجره إلى مصائب عظيمة، وهكذا القياس على بقية المعاصي.

امْضِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ

عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ الْـمَلِكَ، فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجَلِي، فَادْفَعْ لِي غُلاَمًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ.

قَالَ: فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ.

قَالَ: فَكَانَ الْغُلاَمُ يَخْتَلِفُ إِلَى السَّاحِرِ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ الْـمَلِكِ رَاهِبٌ؛ فَكَانَ الْغُلاَمُ إِذَا مَرَّ بِالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ، فَسَمِعَ مِنَ كَلاَمِهِ، فَأُعْجِبَ بِكَلاَمِهِ.

فَكَانَ الْغُلاَمُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلاَمَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ، وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟

فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَـا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ فِي طَرِيقٍ، وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لاَ تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ؛ فَقَالَ الْغُلاَمُ: الآنَ أَعْلَمُ أَمْرُ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ الله أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟

قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلَهُ، وَيَمُرُّ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ، وَأَتَاهُ الْغُلاَمُ؛ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلاَمِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّنَّ عَلَيَّ.

قَالَ: وَكَانَ الْغُلاَمُ، يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ؛ وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، فَعَمِيَ؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلاَمًا يُبْرِئُ الأَكْمَهَ[٣٣] وَالأَبْرَصَ[٣٤]، وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟

قَالَ: فَاتَّـخَذَ لَهُ هَدَايَا، ثُمَّ أَتَاهُ؛ فَقَالَ: يَا غُلاَمُ إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الْـهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ.

---

(٣٣) هو الأعمى خلقةً.

(٣٤) البَـرَص: بياض رديء يظهر في ظاهر البدن.

فَقَالَ: مَا أَنَا بِشَافِيكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِي، فَإِن آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ.

قَالَ: فَآمَنَ الأَعْمَى، فَدَعَا اللهَ فَشَفَاهُ، فَقَعَدَ الأَعْمَى إِلَى الْـمَلِكِ كَمَـا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ الْـمَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَنْ شَفَاكَ؟

قَالَ: رَبِّي.

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!

قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ؛ فَقَالَ: لَتَدُلَّنَّنِي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا.

قَالَ: فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَدَعَا الْغُلَامَ؛ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى الْغُلَامُ ؛ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ؛ فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبَ؛ فَقَالَ لَه: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى.

قَالَ: فَوَضَعَ الْـمِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ.

قَالَ: وَأَخَذَ الأَعْمَى؛ فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ؛ فَأَبَى الأَعْمَى، فَوَضَعَ الْـمِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ.

ثُمَّ قَالَ لِلْغُلاَمِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ ؛ قَالَ: فَأَبَى.

فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ[٣٥] الْجَبَلِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَدَهْدِهُوهُ[٣٦]، فَلَمَّا بَلَغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَاتُوا كُلُّهُمْ.

وَجَاءَ الْغُلاَمُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

قَالَ: فَاذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[٣٧]، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَغَرِّقُوهُ.

قَالَ: فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ؛ قَالَ الْغُلاَمُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَانْكَفَأَتْ[٣٨] بِهِمُ السَّفِينَةُ.

---

(٣٥) (ذروته): ذروة الجبل أعلاه وهي بضم الذال وكسرها.

(٣٦) أي دحرجوه، وهو نزول الشيء من أعلاه إلى أسفله.

(٣٧) القرقور: السفينة الصغيرة، وقيل الكبيرة.

(٣٨) أي: انقلبت.

وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْـمَلِكِ؛ فَقَالَ الْـمَلِكُ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ ؟

فَقَالَ: دَعَوْتُ اللهَ فَكَفَانِيهِمْ.

قَالَ: لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَصْنَعَ مَا آمُرُكَ.

فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعِ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ[٣٩] وَاحِدٍ، ثُمَّ اصْلُبْنِي[٤٠]، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَارْمِنِي، وَقُلْ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي.

قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ؛ وَصَلَبَهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ[٤١]، ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ[٤٢] الْغُلَامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ، وَمَاتَ الْغُلَامُ.

---

(٣٩) الصعيد هنا الأرض البارزة.

(٤٠) وهو تعليق الإنسان للقتل، وقيل: شد صلبه على خشبة.

(٤١) (كبد القوس): مقبضها عند الرمي.

(٤٢) الصدغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن.

فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ؛ فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ؟! الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ.

فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ[٤٣] فَأُخِذَتْ، وَخَدَّ الأُخْدُودَ[٤٤] وَضَرَّمَ فِيهِ النِّيرَانَ، وَأَخَذَهُمْ، وَقَالَ: إِنْ رَجَعُوا، وَإِلَّا فَأَلْقُوهُمْ فِي النَّارِ ؛ فَكَانُوا يُلْقُونَهُمْ فِي النَّارِ.

قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَـهَا، فَلَمَّـا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ، فَنَكَصَتْ[٤٥].

فَقَالَ لَـهَا صَبِيُّهَا: يَا أُمَّه، امْضِـي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ»[٤٦].

---

(٤٣) أي: أبواب الطرق.

(٤٤) الأخدود: هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد.

(٤٥) أي: رجعت وتوقفت ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار.

(٤٦) أخرجه مسلم (٤:٢٢٩٩) رقم (٣٠٠٥)، وابن حبان (٣:١٥٤) رقم (٨٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤:٣٣٩) واللفظ له.

الفوائد من القصة:

١- الساحر إما معتد ظالم، وإما كافر مشرك، فإن كان يستعين على سحره بالشياطين يتقرب إليهم ويعبدهم ويدعوهم ويستغيث بهم فهو كافر مشرك. وإن كان لا يفعل هذا لكن يعتدي على الناس بأدوية فيها سحر فهذا ظالم معتد.

٢- من نعمة الله على العبد، أن الإنسان إذا شك في أمر ثم طلب من الله آية تبين له شأن هذا الأمر فبينه الله له، فإن هذا من نعمة الله عليه.

٣- أن الشاب في الغالب أسرع حفظاً من الكبير، لأن الشاب فارغ البال ليست عنده مشاكل توجب انشغاله.

٤- أن أهل العلم والإيمان لا ينسبون نعمة الله إليهم، وإنما ينسبونها إلي موليها عز وجل وهو الله. إذ قال الغلام: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالي.

٥- جواز الكذب للضـرورة لا سيما في الله ، وفي المدافعة عن الإيمان، ومن يصدع عنه، إذا رأى المضطر لذلكَ أن المصلحة في هذا تربو على مفسدة الكذب.

٦- نصرُ مَنْ توكل على الله سبحانه، وانتصر وخرج عن حَوْل نفسه وقواها.

٧- أَنَّ أَعمى القلب لا يبصر الحق.

٨- الصبر والثبات على الدِّين مطلبٌ عظيم يحرص عليه كل مسلم لعلمه بفضل هذا الدين، وخوفه من أن يسلب منه؛ لأن الأعمال بالخواتيم .

٩- إِثبات كرامة الأَولياء.

مَاشِطَةُ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ؛ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا».

قَالَ: «قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْـمِدْرَى[٤٧] مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ الله.

فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟

قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ.

قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا؛ فَقَالَ: يَا فُلانَةُ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟

قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ.

---

(٤٧)الْمِدْرَى: بِكَسْرِ الْمِيم وَإِسْكَان الدَّال الْمُهْمَلَة وَبِالْقَصْرِ، وَهِيَ حَدِيدَة يُسَوَّى بِهَا شَعْر الرَّأْس ، وَقِيلَ هُوَ شِبْه الْمِشْط، وَقِيلَ: هِيَ أَعْوَاد تُحَدَّد تُجْعَل شِبْه الْمِشْط، وَقِيلَ: هُوَ عُود تُسَوِّي بِهِ الْمَرْأَة شَعْرهَا، وَجَمْعه (مَدَارَى) وَيُقَال فِي الْوَاحِد (مِدْرَاة) أَيْضًا، (وَمِدْرَايَةٌ) أَيْضًا، وَيُقَال: تَدَرَّيْت بِالْمِدْرَى. «شرح النووي على مسلم» (٧ : ٢٨٥).

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ[٤٨] فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا.

قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً.

قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا.

قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ».

قَالَ: «فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ».

---

(٤٨) (فأمَر ببَقَرة من نُحاس فأُحْمِيت) قال الحافظ أبو موسى: الذي يقَعُ لي في معناه أنه لا يريد شيئاً مَصُوغاً على صورة البَقرة، ولكنَّه ربَّما كانت قِدراً كبيرةً واسعةً فسماها بقرةً، مأخوذا من التَّبَقُّر: التوسع، أو كان شيئاً يَسعُ بقَرةً تامَّةً بِتَوابِلِها فَسُمِّيتْ بذلك. «النهاية في غريب الأثر» (١: ٣٧٨).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ»[٤٩].

الفوائد من القصة:

١ -ماشطة ابنة فرعون نموذج فذٌّ رائع للمرأة المسلمة التي تبتلى بسبب تمسكها بدينها وإصرارها عليه، فترضى، صابرة محتسبة، على أن تخرج من الدنيا بالموت، ولا تخرج من دينها. وتمر بمحنة عظيمة جسدية ونفسية تنخلع لها القلوب، فتصبر وتحتسب، وتنال بذلك رضا الله وجنته.

٢- المؤمن الصادق الذي يضع أولى خطواته في طريق الدعوة، يدرك التبعات التي سوف يتحملها، والأذى الذي قد يتعرض له،

(٤٩) أخرجه أحمد في «مسنده» (١:٣٠٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠:١٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢:٣٨٩). قال الهيثمى (١: ٧٥) : رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عطاء بن السائب ، وهو ثقة.

والمضايقات التي قد يلاقيها، ومن ثم يتميز الصادق من الكاذب، والصابر من المتبرم الجازع، والماضي من المتردد.

٣- ضعف المرأة الجسمي قوَّاه عمقُ إيمانها، وتدنِّيَ منزلتها الاجتماعية ارتفع به تساميها بعقيدتها. ثم هي لا ترضى أن تترك أمر دينها تستراً؛ بل لا تبالي أن يصل ذلك إلى سمع الملك الطاغية المتأله.

٤- في سبيل الله يستروح المؤمنون العذاب، ويواجهون الظالمين والطغاة، ولكن الله تعالى يلطف بهم، ويثبتهم على الحق بالكرامات وخوارق العادات، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

أَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ

عنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ(٥٠)؛ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ(٥١) بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ(٥٢) الدَّمُ حَتَّى مَاتَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ(٥٣)، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(٥٤).

الفوائد من القصة:

١- إن الصبر على المكاره من علامات قوة العزيمة، والجزع واليأس من صفات أهل الضعف والخور، فالعاقل من رضي بالعيش حلوه ومره وقابل الشدائد بعزيمة ثابتة وجَنان قوي.

---

(٥٠) لم يصبر على الألم.

(٥١) قطع.

(٥٢) لم ينقطع الدم ولم يسكن.

(٥٣) استعجل الموت.

(٥٤) أخرجه البخاري (٣:١٢٧٥) رقم (٣٢٧٦).

٢- تحريم قتل النفس بغير حق، وحرمتها، وعظم شأنها، وخطرها. وأنه أمر كبير، قال ابن دقيق العيد: الحديث أصل كبير في تعظيم قتل النفس سواء كانت نفس الإنسان أو غيره.

٣- أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم؛ لأن نفسه ليست ملكا له، وإنما هي ملك لله تعالى فلا يتصرف فيها إلا أذن له فيه.

٤- الأحسن للمبتلي أن يقول -إذا كان لا بد من القول-: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

لا تَشُوبُوا اللَّبَنَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَشُوبُوا [٥٥] اللَّبَنَ لِلْبَيْعِ، أَلَا وَإِنَّ رَجُلًا مِنْ قَبْلِكُمْ جَلَبَ خَمْرًا إِلَى قَرْيَةٍ فَشَابَهَا بِالْمَاءِ، فَأَضْعَفَ أَضْعَافًا، فَاشْتَرَى قِرْدًا فَرَكِبَ الْبَحْرَ، حَتَّى إِذَا لَجَجَ فِيهِ أَلْهَمَ اللهُ الْقِرْدَ صُرَّةَ الدَّنَانِيرِ، فَأَخَذَهَا فَصَعِدَ الدَّقَلَ[٥٦]، فَفَتَحَ الصُّرَّةَ وَصَاحِبُهَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ دِينَارًا فَرَمَى بِهِ فِي الْبَحْرِ، وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ، حَتَّى قَسَمَهَا نِصْفَيْنِ»[٥٧].

الفوائد من القصة:

١- أنَّ الغشَّ محرم في جميع صوره. وضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئا لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل.

---

(٥٥) أي: لا تخلطوا.

(٥٦) هو خشبة يوضع عليها شراع السفينة.

(٥٧) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣:٢٥٣) في ترجمة سليمان بن أرقم أبو معاذ الأنصاري، وقال: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤:٣٣٣) رقم (٥٣٠٨).

٢- ذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي صوراً من الغش، فقال: يقع لبعض العطارين والتجار أنه يقرب بعض الأعيان إلى الماء فيكتسب منه مائية تزيد في وزنه نحو الثلث كالزعفران، وبعضهم يلبس الثوب خاماً إلى أن تذهب قوته جميعاً، ثم يقصره حينئذٍ، ويجعل فيه نشا يوهم به أنه جديد ويبيعه على أنه جديد. وبعضهم يسعى في إظلام محله إظلاماً كثيراً حتى يصير الغليظ يرى رقيقاً والقبيح حسناً[٥٨].وبعض الصواغين يخلط بالنقد[٥٩] نحاساً ونحوه ثم يبيعه على أنه كلَّه فضة أو ذهب. وكثيراً من التجار وأهل البهار والحبابين وغيرهم يجعل أعلى البضاعة حسناً وأسفلها قبيحاً، أو يخلط بعض القبيح في الحسن حتى يروج ويندمج على المشتري فيأخذ القبيح من غير أن يشعر به، ولو شعر به لم يأخذ شيئا منه.

٣- أنَّ من يجمع ماله عن طريق الغش والخداع والمكر، فإنَّ الله يسلط عليه من يهلكه له. يقول الشيخ ابن حجر: بل الغالب في

---

(٥٨) وفي عصرنا يكثرون من الأنوار الملونة، بحجة تزيين المحل.

(٥٩) المراد بالنقد الذهب والفضة.

أولاد التجار أنهم يضيعونه في المعاصي والقبائح التي لا تخفى على أحد.

خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا [٦٠] لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً[٦١] فِيهَا ذَهَبٌ. فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ.

وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا.

فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ؛ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟

قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ. وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ.

قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا» [٦٢].

---

(٦٠) هو الأرض وما يتصل بها من مال، وقيل: المنزل والضياع.

(٦١) الجرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٦٢) أخرجه البخاري (٣:١٢٨١) رقم (٣٢٨٥)، ومسلم (٣:١٣٤٥) رقم (١٧٢١).

الفوائد من القصة:

١- صلاح هذين الرجلين وورعهما وعفتهما وزهدهما في هذا الكنز النفيس الذي يتمثل في تدافعهما له، ومحاولة كل منهما التخلص منه، فهما نوع نادر من البشر.

٢- في الحديث دليل على فضل الإصلاح بين المتبايعين، وأن القاضي يستحب له الإصلاح بينهما كما يستحب لغيره.

٣- أن ما أجراه هذا الرجل بينهما ليس حكماً عليهما، وإنما هو إصلاح بينهما.

٤- قال العلماء -رحمهم الله-: إن الإنسان إذا باع أرضاً على شخص ووجد المشتري فيها شيئاً مدفوناً فيها من ذهب أو غيره فإنَّه لا يملكه بملك الأرض، ولكنه للبائع، وإذا كان البائع اشتراها من آخر فهي للأول؛ لأن هذا المدفون ليس من الأرض، بخلاف المعادن لو اشترى أرضاً ووجد فيها معدناً من ذهب أو فضة أو حديد أو غيره فإنه يتبع الأرض.

لأَرَيْتُكُمْ قُبُورَهُمَا

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ فِي مَمْلَكَتِهِ، فَتَفَكَّرَ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ، وَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ قَدْ شَغَلَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، فَتَسَرَّبَ (٦٣) فَانْسَابَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ قَصْرِهِ، فَأَصْبَحَ فِي مَمْلَكَةِ غَيْرِهِ.

وَأَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ، وَكَانَ بِهِ يَضْرِبُ اللَّبِنَ (٦٤) بِالأَجْرِ (٦٥)، فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَضْلِ.

فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، حَتَّى رَقِيَ (٦٦) أَمْرُهُ إِلَى مَلِكِهِمْ، وَعِبَادَتُهُ وَفَضْلُهُ، فَأَرْسَلَ مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ، ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ، وَقَالَ: مَا لَهُ وَمَا لِي ؟

---

(٦٣) فتسرب: السارب الذاهب على وجه الأرض، فلعل المراد أنه أراد الذهاب على وجه الأرض.

(٦٤) اللبن: هو الذي يبنى به، المضروب من الطين مربعاً أو مستطيلاً، واحدته «لَبِنَة».

(٦٥) أي: بالكراء.

(٦٦) رقي: بكسر القاف، أي: ارتفع واشتهر.

قَالَ: فَرَكِبَ الْـمَلِكُ، فَلَمَّـا رَآهُ الرَّجُلُ وَلَّى هَارِبًا، فَلَمَّـا رَأَى ذَلِكَ الْـمَلِكُ رَكَضَ فِي أَثَرِهِ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ.

قَالَ: فَنَادَاهُ: يَا عَبْدَ الله، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ، فَأَقَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ.

فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ ؟

قَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، صَاحِبُ مُلْكِ كَذَا وَكَذَا، تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ، فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي، فَتَرَكْتُهُ وَجِئْتُ هَاهُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ: مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، فَسَيَّبَهَا[٦٧]، ثُمَّ تَبِعَهُ، فَكَانَا جَمِيعًا يَعْبُدَانِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَدَعَوَا اللهَ أَنْ يُمِيتَهُمَـا جَمِيعًا، قَالَ: فَمَـاتَا».

(٦٧) فسيبها: أي: تركها.

قَالَ عَبْدُ الله: لَوْ كُنْتُ بِرُمَيْلَةِ مِصْرَ[٦٨]، لأَرَيْتُكُمْ قُبُورَهُمَا بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ[٦٩].

الفوائد من القصة:

١- إذا أكثر العبد ذكر الآخرة وكانت منه دائمًا على بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكترث بزهرتها، ومن ثم لا يحزن على فواتها، ولا يمدن عينيه إلى من متعهم الله بها ليفتنهم فيها.

٢- يتولد من هذا الشعور الراحة النفسية، والسعادة القلبية، وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات؛ وذلك للرجاء فيما عند الله عز وجل من العوض والثواب.

---

(٦٨) رميلة مصر: قال العلامة أحمد شاكر: هي ميدان تحت قلعة الجبل، كانت ميدان أحمد بن طولون، وبها كانت قصوره وبساتينه، وهي المعروفة الآن باسم «ميدان صلاح الدين» وباسم «المنشية».

(٦٩) «مسند الإمام أحمد» (١:٤٥١) وهو من زوائد عبد الله على مسند أبيه. وأبو يعلى في «مسنده» (٩:٢٦١) رقم (٥٣٨٣). وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه وفي إسنادهما المسعودي وقد اختلط. «مجمع الزوائد» (١٠:٣٧٣). وحسَّنَ الحديث العلامة أحمد شاكر في «المسند» رقم (٤٣١٢).

٣- الذي عرف الدنيا على حقيقتها، وامتلأ قلبه بهَمِّ الآخرة وأنبائها؛ فإن نفسه لا تذهب على الدنيا حسـرات، ولا تنقطع نفسه لهثًا في طلبها، ولا يأكل قلبه الغل والحسد والتنافس فيها.

٤- أن الله تعالى يكرم ويرفع أهل الإيمان في الدنيا والآخرة، فقد ذاع أمر هذا الملك بين الناس حتى وصل للملك الذي هو بأرضه بسبب صلاحه، فطلبه، ثم جاءه بنفسه بعد أن رفض الأول المثول بين يديه.

المُتَكَلِّمُونَ فِي المَهْدِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْـمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ[٧٠]: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ[٧١]، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّـخَذَ صَوْمَعَةً[٧٢]، فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ.

فَقَالَ: يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ.

فَانْصَـرَفَتْ، فَلَمَّـا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ.

---

(٧٠) قال الإمام النووي: وَلَيْسَ فِيهِمُ الصَّبِيُّ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمَرْأَةِ فِي حَدِيثِ السَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ، وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الْأُخْدُود الْمَذْكُورِ فِي آخِر صَحِيح مُسْلِم، وَجَوَابه أَنَّ ذَلِكَ الصَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَهْد، بَلْ كَانَ أَكْبَر مِنْ صَاحِب الْمَهْد، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا. «شرح صحيح مسلم» (١٦:١٠٦).

(٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تَاجِرًا، وَكَانَ يَنْقُصُ مَرَّةً وَيَزِيدُ أُخْرَى، قَالَ: مَا فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ خَيْرٌ، لَأَلْتَمِسُ تِجَارَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ، فَبَنَى صَوْمَعَةً، وَتَرَهَّبَ فِيهَا، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ». أخرجه أحمد (٢:٤٣٤).

(٧٢) بيت العبادة عند النصارى، ومتعبد الناسك.

فَقَالَ: يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ.

فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ.

فَقَالَ: يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ.

فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ.

فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا[٧٣]؛ فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ.

قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ؛ فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ.

فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ؛ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟

قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ.

فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ.

---

(٧٣) أَيْ: يُضْرَب بِهِ المَثَل لِانْفِرَادِهَا بِهِ.

فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي.

قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ.

قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ؛ فَفَعَلُوا.

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ(٧٤) وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ(٧٥)؛ فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا.

فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمَصُّهَا.

قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ. وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

---

(٧٤) الْفَارِهَة: النَّشِيطَة الْحَادَّة الْقَوِيَّة.

(٧٥) الشَّارَة الْهَيْئَة وَاللِّبَاس.

فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ(٧٦)، فَقَالَتْ: حَلْقَى(٧٧)!! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْـهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ؛ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْـرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ؛ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا؛ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا؛ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَـهَا: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْـرِقْ؛ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا(٧٨)» (٧٩).

---

(٧٦) مَعْنَى تَرَاجَعَا الْحَدِيث أَقْبَلَتْ عَلَى الرَّضِيع تُحَدِّثُهُ، وَكَانَتْ أَوَّلًا لَا تَرَاهُ أَهْلًا لِلْكَلَامِ، فَلَمَّا تَكَرَّرَ مِنْهُ الْكَلَام عَلِمَتْ أَنَّهُ أَهْل لَهُ، فَسَأَلْته، وَرَاجَعْته.

(٧٧) أي: أَصَابَكَ بِوَجَعٍ فِي حَلْقِكَ. وَهَذَا عَلَى مَذْهَب الْعَرَب فِي الدُّعَاء عَلَى الشَّيْء مِنْ غَيْر إِرَادَة وُقُوعه. وَنَظِيره: تَرِبَتْ يَدَاهُ، وَقَاتَلَهُ اللهُ مَا أَشْجَعه وَمَا أَشْعَره. وَاَللهُ أَعْلَم.

(٧٨) أَيْ: اللَّهُمَّ اِجْعَلْنِي سَالِماً مِنَ الْمَعَاصِي كَمَـا هِيَ سَالِمَة، وَلَيْسَ الْـمُرَاد مِثْلهَا فِي النِّسْبَة إِلَى بَاطِل تَكُون مِنْهُ بَرِيًّا.

الفوائد من القصة:

١- عظم بر الوالدين، وتأكد حق الأم، وأن دعاءها مجاب.

٢- في الحديث أن الأمرين إذا تعارضا بُدئ بأهمهما.

٣- الكلام لم يكن ممنوعاً في الصلاة في شريعتهم فلما لم يجب أمه، والحال أن الكلام مباح له استجيبت دعوة أمه فيه، وقد كان الكلام مباحاً أيضاً في شريعتنا أولاً حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]. فأما الآن فلا يجوز للمصلي إذا دعته أمُّه أو غيرُها أن يَقطع صلاته لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وحق الله عز وجل الذي شرع فيه آكد من حق الأبوين حتى يفرغ منه، لكن العلماء يستحبون أن يخفف صلاته ويجيب أبويه

٤- إنَّ الله تعالى يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم بالشدائد غالباً. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]. وقد يجري عليهم الشدائد بعض الأوقات زيادة في أحوالهم، وتهذيباً لهم، فيكون لطفاً.

---

(٧٩) أخرجه البخاري (١٢:١٢٦٨) رقم (٣٢٥٣)، ومسلم (٤:١٩٧٦) رقم (٢٥٥٠) واللفظ له.

٥- قوة يقين جريج وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه.

٦- أَنَّ المفزع في الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه إليه في الصلاة.

٧- إثبات كرامات الأولياء، وأن كرامات الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم.

٨- العزلة خير إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر؛ فالاختلاط بالناس أفضل.

٩- في هذا الحديث دليل على صبر جريج حيث إنه لم ينتقم لنفسه، ولم يكلفهم شططاً فيبنون له صومعته من ذهب، وإنما رضي بما كان رضي به أولاً من القناعة وأن تبني من الطين.

١٠- أنَّ نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر، بخلاف أهل الحقيقة. كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٧٩-٨٠].

انْصَرَفْ بِأَلْفِكَ رَاشِدًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ ذَكَرَ: «أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ.

قَالَ: كَفَى بِالله شَهِيدًا.

قَالَ: ائْتِنِي بِكَفِيلٍ.

قَالَ: كَفَى بِالله كَفِيلاً.

قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا؛ فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا[٨٠]، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مَعَهَا إِلَى صَاحِبِهَا، ثُمَّ زَجَّجَ[٨١] مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي اسْتَسْلَفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِالله كَفِيلاً، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا،

---

(٨٠) أي: حفرها.

(٨١) أي: سوَّى موضع الحفر وأصلحه.

فَقُلْتُ: كَفَى بِالله شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَإِنِّي قَدْ جَهَدْتُ[٨٢] أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي أَعْطَانِي، فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا، فَإِنِّي أَسْتَوْدِعَكَهَا، فَرَمَى بِهَا الْبَحْرَ حَتَّى وَلَجَتْ[٨٣] فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا يَجِيئُهُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا كَسَرَهَا، وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ.

ثُمَّ قَدِمَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ تَسَلَّفَ مِنْهُ، فَأَتَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَالله، مَازِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟

قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ هَذَا الَّذِي جِئْتُ فِيهِ ؟

قَالَ: فَإِنَّ الله قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِأَلْفِكَ رَاشِدًا»[٨٤].

---

(٨٢) أي: اجتهدت.

(٨٣) أي: دخلت في البحر.

الفوائد من القصة:

١- هذه قصَّةٌ عجيبة ذكرَها رسولُ الله ﷺ عن هذا الرَّجل من بني إسرائيل؛ لنَتَّعظَ بها ونعتَبِرَ، ولنعلمَ كمالَ قدرة الله، وتمامَ عونه، وحسنَ كفايته لعبده، إذا أحسن الالتجاءَ إليه، وصَدَقَ في الاعتماد عليه.

٢- أن الله يجازي على الإرفاقِ بالمال بحفظه عليهم مع الأجرِ المُدخَر لهم في الآخرة، كما حفظه على المسلف حين رده الله إليه، وهذان فضلان كبيران لأهل المواساة، والثقة بالله، والحرص على أداء الأمانة.

٣- لا ينبغي للمسلم أن يستهينَ بأمر الدَّينِ أو يُقلِّلَ من شأنه أو يتهاونَ في سداده، فقد ورد في السُّنَّة أحاديثُ عديدة تفيد خطورة ذلك، وتدلُّ على أنَّ نفسَ المؤمن معلقةٌ بالدَّين، وأنَّ الميتَ محبوسٌ بدَيْنِه حتى يُقْضَى عنه.

---

(٨٤) أخرجه البخاري (٨٠١:٢) رقم (٢١٦٩)، النسائي في «السنن الكبرى» (٣٥٤:٥) رقم (٥٨٠٠)، وأحمد في «مسنده» (٣٤٨:٢)، والطبراني في «الدعاء» (ص ٢٦١) رقم (٨٢٥).

٤- هكذا تكون عاقبة التوكل على الله، فإن الله يؤدي، والمهم أن تصدق النية، والمشكلة عند الكثيرين من أصحاب الديون أنهم لا يصدقون النية في الأداء، فلذلك لا يساعدهم الله ولا يعينهم في أدائها.

مُـوَرِّق

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: (مُوَرِّقٌ)، فَكَانَ مُتَعَبِّداً، فَبَيْنَا هُوَ قَائِمٌ فِي صَلَاتِهِ، ذَكَرَ النِّسَاءَ، فاشْتَهَاهُنَّ، وَانْتَشَرَ[٨٥] حَتَّى قَطَعَ صَلَاتَهُ، فَغَضِبَ، فَأَخَذَ قَوْسَهُ، فَقَطَعَ وَتَرَهُ[٨٦]، فَعَقَدَهُ بِخُصْيَيْهِ، وَشَدَّهُ إِلَى عَقِبَيْهِ[٨٧]، ثُمَّ مَدَّ رِجْلَيْهِ فانْتَزَعَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ طِمْرَيْهِ[٨٨] وَنَعْلَيْهِ حَتَّى أَتَى أَرْضاً لَا أَنِيسَ بِهَا وَلَا وَحْشَ، فَاتَّخَذَ عَرِيشاً[٨٩]، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي.

فَجَعَلَ كُلَّمَا أَصْبَحَ، انْصَدَعَتْ[٩٠] لَهُ الْأَرْضُ، فَخَرَجَ لَهُ خَارِجٌ مِنْهَا مَعَهُ إِنَاءٌ فِيهِ طَعَامٌ، فَيَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ، ثُمَّ يَدْخُلُ، فَيَخْرُجُ بِإِنَاءٍ فِيهِ

---

(٨٥) أي: نعظ وقام ذَكره.

(٨٦) الوتر : الخيط يشد بين طرفين والمراد وتر قوس النبل.

(٨٧) العقب : عظم مؤخر القدم.

(٨٨) الطمر: الثوب الخلق الرثُّ القديم.

(٨٩) العريش : كل ما يستظل به.

(٩٠) أي: انشقت.

شَرَابٌ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَدْخُلُ فتَلْتَئِمُ[٩١] الْأَرْضُ، فَإِذَا أَمْسَى فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ: وَمَرَّ أُنَاسٌ قَرِيباً مِنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلَانِ مِنَ الْقَوْمِ، فَمَرَّا عَلَيْهِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَسَأَلَاهُ عَنْ قَصْدِهِمَا ؟ فَسَمَتَ[٩٢] لَهُمَا بِيَدِهِ، قَالَ: هَذَا قَصْدُكُمَا -حَيْثُ يُرِيدَانِ-.

فَسَارَا غَيْرَ بَعِيدٍ، قَالَ أَحَدُهُمَا: مَا يُسْكِنُ هَذَا الرَّجُلَ هُنَا بأَرْضٌ لَا أَنِيسَ بِهَا وَلَا وَحْشَ ؟ لَوْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ حَتَّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ.

قَالَ: فَرَجَعَا، فَقَالَا لَهُ: يَا عَبْدَ الله، مَا يُقِيمُكَ بِهَذَا الْمَكَانِ بِأَرْضٍ لَا أَنِيسَ بِهَا وَلَا وَحْشَ ؟

قَالَ: امْضِيَا لشَأْنِكُمَا وَدَعَانِي. فَأَبَيَا وأَلَحَّا عَلَيْهِ.

قَالَ: فَإِنِّي مُخْبِرُكُمَا، عَلَى أَنَّ مَنْ كَتَمَهُ عَلَيَّ مِنْكُمَا، أَكْرَمَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَظْهَرَ عَلَيَّ مِنْكُمَا، أَهَانَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَا: نَعَمْ.

---

(٩١) التأم : اجتمع وانضم.

(٩٢) أي: أشار.

قَالَ: فَنَزَلَا، فَلَمَّـا أَصْبَحَا، خَرَجَ الْخَارِجُ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلِ الَّذِي كَانَ يُخْرِجُ مِنَ الطَّعَامِ ومِثْلَيْهِ مَعَهُ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ دَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِشَرَابٍ فِي إِنَاءٍ مِثْلِ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ ومِثْلَيْهِ مَعَهُ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا، ثُمَّ دَخَلَ فَالْتَأَمَتِ الْأَرْضُ.

قَالَ: فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ: مَا يُعَجِّلُنا ؟ هَذَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ، وَقَدْ عَلِمْنَا سَمْتَنَا مِنَ الْأَرْضِ، امْكُثْ إِلَى الْعَشَاءِ، فَمَكَثَا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِثْلُ الَّذِي خَرَجَ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: امْكُثْ بِنَا حَتَّى نُصْبِحَ. فَمَكَثَا فَلَمَّـا أَصْبَحُوا خَرَجَ إِلَيْهِمَـا مِثْلُ ذَلِكَ.

ثُمَّ رَكِبَا فَانْطَلَقَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا، فَلَزِمَ بَابَ الْـمَلِكِ حَتَّى كَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَسَمَرِهِ[٩٣]، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَقْبَلَ عَلَى تِـجَارَتِهِ وَعَمَلِهِ.

وَكَانَ ذَلِكَ الْـمَلِكُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَهْلِ مَـمْلَكَتِهِ كَذِبَةً يُعْرَفُ بِهَا إِلَّا صَلَبَهُ. فَبَيْنَا هُمْ لَيْلَةً فِي السَّمَرِ يُحَدِّثُونَهُ مِـمَّـا رَأَوْا مِنَ الْعَجَائِبِ، أَنْشَأَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ فقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ أَيُّهَا الْـمَلِكُ

(٩٣) المُسامرة : وهو الحديثُ بالليل.

بِحَدِيثٍ مَا سَمِعْتَ أَعْجَبَ مِنْهُ قَطُّ ؟ فَحَدَّثَ بحَدِيثِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَى مِنْ أَمْرِهِ.

قَالَ الْـمَلِكُ: مَا سَمِعْتُ بِكَذِبٍ قَطُّ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، وَالله لَتَأْتِيَنِّي عَلَى مَا قُلْتَ بِبَيِّنَةٍ(٩٤) أَوْ لَأَصْلُبَنَّكَ.

قَالَ: بَيِّنَتِي فُلَانٌ.

قَالَ: رِضًى، ائْتُونِي بِهِ، فَلَمَّـا أَتَاهُ، قَالَ لَهُ الْـمَلِكُ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ: إِنَّكُمَـا مَرَرْتُـمَـا بِرَجُلٍ، ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا ؟

قَالَ الرَّجُلُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ، أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ، وَهَذَا مَا لَا يَكُونُ، وَلَوْ أَنِّي حَدَّثْتُكَ بِهَذَا، كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَصْلُبَنِي عَلَيْهِ؟

قَالَ: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ. فَأَدْخَلَ الرَّجُلَ الَّذِي كَتَمَ عَلَيْهِ فِي خَاصَّتِهِ وَسَمَرِهِ، وَأَمَرَ بِالْآخَرِ فَصُلِبَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَأَمَّا الَّذِي كَتَمَ عَلَيْهِ مِنْهُمَـا، فَقَدْ أَكْرَمَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَأَمَّا الَّذِي أَظْهَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمَـا، فَقَدْ أَهَانَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مُهِينُهُ فِي الْآخِرَةِ»(٩٥).

---

(٩٤) البينة : الدليل والبرهان الواضح.

الفوائد من القصة:

١-يدل الحديث على أنه كان بعد عيسى بن مريم، لأن أتباعه هم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس.

٢-اتفاق جميع الملل والنحل على قبح الكذب؛ لأنه يفسد أكثر المعاملات، ولأنه أساس كل رذيلة وخطيئة، وأم الخبائث الأخلاقية: من خيانة وغدر ونفاق، وتدليس وشهادة زور وقذف ونحوها.

٣-في الحديث حثٌّ على كتمان الأسرار وعدم إفشائها؛ لأنه من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح.

هذه بعض الأقوال في فضل كتمان السرِّ:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: من كتمَ سِرَّهُ كان الخيارُ بيده، ومن عَرَّض نفسه للتُّهمة فلا يلومنَّ من أساء الظنَّ به.

---

(٩٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧:٢٨٠) رقم (٧٥٠٠) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات على ضعف في بعضهم يسير. «مجمع الزوائد» (١٠:٥٤٨). وقال الشيخ ناصر في «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٣٤٢): منكر. وتكلم على رجال إسناده.

وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله ﷺ: يا بني، إنَّ أمير المؤمنين يُدنيكَ -يعني عمر بن الخطاب ﷺ- فاحفظ عني ثلاثاً: لا تَفشينَّ له سِرًّا، ولا تغتابنَّ عندَه أَحداً، ولا يَطَّلعنَّ منكَ على كذبة.

وقال أكثمُ بن صَيفي: إنَّ سرَّك من دَمِكَ، فانظر أَين تُريقُه.

وقال آخر: كِتمانُكَ سِرَّكَ يُعقبكَ السَّلامة، وإفشاؤه يُعقبكَ النَّدامة، والصبرُ على كتمانِ السِّرِّ أَيسرُ من النَّدامةِ على إفشائهِ.